Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسأل ثانية: لم تسمعي صوتي منذ ربع قرن. فهل تذكرتني؟

كيف كان بوسعي أن أنسى صوت والدة حبي الأول الكبير؟ كان ابنها الوحيد، وكان ربما حبي الوحيد. فيا للصلة التي لا تنفصم عراها بين عاشقتين لرجل واحد هما ميمنة خانم وأنا.. (جّرتني من يدي أمام المرآة المطعمة بالصدف في صالون قصر آل الساروجي، وهي تخلع قرطيها الماسيين البديعين وتطلب مني أن أجربهما.

متوردة بالخجل ارتديتهما بيدين مرتجفتين.

أشعلا وجنتيّ بنار كانت متقدة في قلبي، فقد كنت عاشقة وسعيدة وفي السادسة عشرة من عمري.

تأملتهما. ماستان كبيرتان كل واحدة ككرة الساحرة الشفّافة يحيط بهما إطار ذهبي بنقوش شرقية كأنها كتابة سرية لتعاويذ غامضة. جربتهما فهبّت منهما على وجهي رائحة الغوطة وليالي بردى وسمعت همهمات الناس على مر آلاف السنين من أزقة مدينتنا الدهرية وخفت كما لو كانا قرطين مسحورين. خلعتهما وأعدتهما إليها فضمّتني إلى صدرها الدافىء وقامتها الممتلئة ورائحة عطر «أربيج» ممتزجة بـ «فتة المكدوس»(*) تفوح منها وهي تقول: هاتان الماستان ستكونان هديتي لك ليلة العرس.

لقد توارثناهما من زمان، ربما من أيام بناء سور الشام. أعرف أنك ستحافظين عليهما وستهدينهما بدورك ذات يوم إلى من تستحق.

أعادتهما إلى أذنيها فتدلّيا حول وجهها كأسطورة. صرت أرتجف فرحاً وأقبّلها بنزق مراهقتي وأقسم لها أنني سأموت قبل أن أخون الأمانة).

يطول صمتي، ويدي الممسكة بالهاتف ترتجف..

تقول وهي تتوهم صمتي لامبالاةً: معذرة يبدو أنك نسيتني.

أجد صوتي: لا. لم أنسَكِ. وأنت بالتأكيد تعرفين ذلك وإلا لما اتصلتِ بي.

(*) فتة المكدوس: طبق شامي خاص بالولائم.